هذا الوزير ابن الخطيب ثم مرموف وضيق عليه في محبسه وكانت بينه وبين ابن الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت
ايام مقامه بالاندلس وكان غالبا على هوى السلطان ابي سالم فزين له استدعا هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده
زبونا على اهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المترشحين هنالك متى طمحوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب
اهل الاندلس في تسهيل طريقه من وادي آش اليه وبعث من اهل مجلسه الشريف ابا القاسم التلمساني وحمل مع
ذلك الشفاعة في ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف ابا القاسم الى وادي آش وسار في ركاب سلطانه
وقدموا على السلطان ابي سالم فاهتز لقدومه وركب في الموكب لتلقيه واجلسه ازاء كرسيه وانشد
ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصره فوعده وكان يوما مشهودا ثم اكرم مثواه وارغد نزله ووفر
ارزاق القادمين مع ركابه وارغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استاذن السلطان
في التجوال بجهات مراكش والوقوف على اثار الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه فتباروا في ذلك وحصل
منه على حظ وعندما مر بسلا اثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن
وانشد قصيدته على روي الراء يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

الدبان منزلـه وشطت داره . قامت مقام عيانه اخباره . قسم زمانك عبرة او عبرة
هذي ثراه وهذه اثاره .

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه
واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة
ثلاث وستين وسبعماية وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقايم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن عبد الله
ابن علي فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان لقدومه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان
كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن اشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى في ركاب ابيه عندما احس
بالشر من الرئيس صاحب غرناطة واجاز يحيى من هنالك الى العدوة واقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان في مثوى
اغترابه هنالك وتقلب في مذاهب خدمته واخرج فواء الطاغية عندما يئسوا من الفتح على يده فتحولوا عنه الى
ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله في ان يمكنهم من بعض الثغور الغربية التي لطاعتهم بالاندلس يتعقبون
منها الفتح وخاطبني السلطان المخلوع في ذلك وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخاصة متاكدة فوفيت
السلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على ان يرد عليه مدينة رندة اذ هي من تراث سلفه فقبل اشارتي في
ذلك وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن يحيى في جملته وهو المقدم في بطانته ثم غزوا منها مالقة
واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى متقدم القدم في الدولة عريق في المخالصة وله على السلطان
دالة واستبداد على هواه فلما وصل ابن الخطيب باهل السلطان وولده واعاده الى مكانه في الدولة من علو يده
وقبول اشارته ادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به واراه التخوف من هولاء الاعياص على ملكه
فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته في رمضان سنة اربع وستين وسبعماية واودعهم
المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة وخلط بنيه
بندمايه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الامال وغشي بابه الخاصة
والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتفننوا في السعايات فيه وقد صم السلطان عن قبولها ونمى الخبر
بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التقويض واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان ابي الحسن ملك
العدوة يومئذ في القبض على ابن عمه عبد الرحمن ابي يفلوسن بن السلطان ابي علي بن السلطان ابي سعيد بن السلطان يعقوب
ابن عبد الحق كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما اجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك واضرم بها
نار الفتنة في كل ناحية واحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القايم حينئذ بدولة بني مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فاجاز
هو ووزيره مسعود بن ماساي ونزلوا على السلطان المخلوع اعوام سبعة وستين وسبعماية فاكرم نزلهم وتوفي علي بن بدر
الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله
فنفس بما فعل السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاضهم منهم ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسر بها في نفس
من يتجزع لذلك وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن ابي يفلوسن وابن ماساي واراحة نفسه من شغبهم على ان يكون
له المكان من دولته متى نزع اليه فاجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى الاندلس وكاتبه ابي يحيى
ابن ابي مدين واغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن ابي يفلوسن وابن ماساي فتقبض عليهما واعتقلهما
وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن السلطان من القدح فيه والسعاية وربما تخيل ان السلطان
مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستاذن السلطان في تفقد الثغور وسار
اليها في لمة من فرسانه وكان معه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة
المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين يديه فخرج قايد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه
بذلك وجهز له الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسم ثم سار
لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعماية بمقامه من تلمسان فاهتزت له الدولة واركب السلطان
خاصته لتلقيه واحله من مجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا
يحيى بن ابي مدين سفيرا الى صاحب الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على احسن حالات الامن والتكرمة ثم اكثر
المنافسون في شانه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابداء ما كان كامنا في نفسه من سقطاته واحصاء معايبه وشاع
على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضي الحضرة ابي الحسن بن الحسن
فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رايه فيه وبعث القاضي ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز

بالانتقام

بالانتقام منه لتلك السجلات وامضى حكم الله فيه فصم عن ذلك وانف لذمته ان تخفر ولجواره ان يرد وقال
لهم هلا انتقمتم منه وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر
الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من اهل الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين
وسبعماية ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القايم بالدولة فنزل بفاس
واستكثر من شراء الضياع وتانق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ عليه القايم بالدولة الرسوم التي رسمها له
السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى ان كان ما نذكره انتهى وقال ابن خلدون في تاريخه ما صورته كان
محمد بن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه
الرئيس المنتزي على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل ملكه وكان بها
كاتبه كاتب ابيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه
وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه ان نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسايل عند ملوكه
وكان لابنا السلطان ابي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان ابي علي ويخشونهم على امرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن
ابن ابي يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته واعلى منزلته وحمل السلطان
على ان عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الاعياص فكانت له اثار في الاضطلاع بها ولما
استبد السلطان عبد العزيز بامره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال
عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي واداره ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل السلطان عليهما
الى ان سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر ايام السلطان عبد العزيز وتغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب
واظلم وتنكر له فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعماية لما قدم من الوسايل وعهد
من السوابق فقبله السلطان واحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في اهله وولده فبعثهم
اليه واستقر في جملة السلطان ثم تاكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الاندلس
وحمله عليه وتوعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب ونمى ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز
بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه واوفد
بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه وابى السلطان من ذلك ونكره وعند هلاك السلطان واستبد
الوزير ابن غازي تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان عبد العزيز
فلج واستنكف عن ذلك وافحش الرد وانصرف رسوله اليه وقد رهب سطوته فاطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن
ابن ابي يفلوسن واركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي ونهض هو في ابن
الاحمر الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته لطوله وملخصه
ان الوزير ابا بكر بن غازي الذي كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن
الاحمر ونهض هو لمنازلة الوزير المنازل لعبد الرحمن بن ابي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله
اياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما الوزير ابو بكر بفاس يدبر الراي اذ وصله الخبر
بان ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان احمد بن ابي سالم وهو المعروف بذي الدولتين وهذه هي دولته الاولى وذلك
ان ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد طاول حصار جبل الفتح واخذ بمخنقه ونكر دخلة السلطة (?)
بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب فاستعتب له وفتح ما جاء به ابن عمه الوزير ابو بكر بن غازي من الاستغلاظ له
في شان ابن الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة لابن السلطان ابي سالم من الابناء
الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وان يقيمه للمسلمين سلطانا ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبي الذي
لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد بن ابي فارس الذي بايعه الوزير ابو بكر بن غازي بتلمسان حين مات ابوه واستبد
عليه واختص ابن الاحمر احمد بن ابي سالم من الموات وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وجعل من شروطه ان يتنزلوا
له عن جبل الفتح الذي هو محاصر له وان يبعثوا اليه جميع ابناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته وان يبعثوا اليه الوزير
ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد امرهم على ذلك وتقبل محمد بن عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى ابا
العباس احمد من مكان اعتقاله فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم اهل سبتة للبيعة وكتابتها فقدموا وبايعوا
وخاطب اهل جبل الفتح فبايعوا وافرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح
وخاطب اهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من مالقة اليه ودخله ومحى دولة بني مرين مما وراء البحر واهدى
السلطان ابي العباس وامده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على امره ولما وصل الخبر بعقد تلك
الى الوزير ابي بكر بن غازي قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب اليه بان هذا من امره فتبرا من ذلك
ولاطف ابن عمه ان ينقض ذلك الامر فاحتال له بانعقاد البيعة لابي العباس وبينما الوزير ابو بكر منتظر اجابة ابن
عمه لما رامه منه بلغه الخبر بان المخلص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر فوجم
ونهض ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فاهتبل في غيبته ابن عمه محمد بن عثمان
ووصله مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو سبعماية وعسكر آخر من الغزاة وبعث الى الامير
وسلمها الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان احمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد
بينهما الاتفاق على ان يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر
الى الوزير ابي بكر بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرايس وانتهى السلطان ابو العباس
احمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره فاختل مصافه ورجع على عقبه مغلولا وانتهب معسكره ودخل